

اصطیغ الثلاثه



” وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ” (٩).

أول الخلف هذه الآية وأمثالها فقالوا : إن السنة وحى نزل على النبي ﷺ كما نزل عليه القرآن . مع أن الآية ليس فيها ما يؤيد زعمهم ، بل فيها ما يبده ، والدليل :

حقيقة الأولى : ما يوحى إلى الرسول هو الكتاب :

وهذا هو الحق الذى أقرته الآيات ، فالذى يوحى إلى الرسول هو الكتاب :

١ - فقد قال سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل :

” كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ” .

ونلاحظ هنا : شمول نص الآية لكل ما أوحى للرسول ﷺ ، وشمول التلاوة لكل ما أوحى للرسول ﷺ .

ومعلوم أن القرآن فقط هو الذى يُتلى ، تصديقاً لقول الله تعالى :

” كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ” (١٠) !

٩- سورة (٥٣) النجم : ٣ - ٤ .

١٠- سورة (٢) البقرة : ١٥١ .

ولم يقل (مثلاً) : " **يتلوا عليكم سنتنا** !"

ولو كانت روايات القوم وأحاديث الصحيحين وغيرهما من الوحي كما زعموا ، لدخلت في النص هاهنا !

فهل ياترى كان النبي ﷺ يتلوا على أمته الروايات ، أمر الآيات ؟!

إن كانت الآيات فقط هي التي **تتلى** فلا سبيل للقول هنا بأن الروايات وحي ، وأنها من كلام النبي .

وإن كانت الروايات تتلى مثل الآيات فهم صادقون !!

٢ - ثم إن النبي F قد صرح بما أوحى إليه فقال : إنه القرآن (لا السنة) :

" قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ " (١١) .

وصدع النبي ﷺ بما أمره به ربه وقال للناس : إنه قد أوحى إليه القرآن لينذرهم به ومن بلغ ، فهل قال لهم النبي : إنه قد أوحى إليه القرآن والسنة ؟

٣ - وقد قال سبحانه في محكم التنزيل أيضاً :

" **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ** " (١٢) .

فحدد سبحانه الوحي بالكتاب . ولم يقل عز وجل (مثلاً) :

" **والذي أوحينا إليك هو الحق** " ، فيحتمل شموله للسنة والروايات .

وكذلك لم يقل سبحانه : **والذي أوحينا إليك من السنة** ، أو الروايات هو الحق ، وإنما حدده سبحانه بالكتاب كما سلف ، وبين أنه (وحده) الحق .

١١ - سورة (٦) الأنعام : ١٩ .

١٢ - سورة (٣٥) فاطر : ٣١ .

٤ - ثم إن النبي كان يتبع ما أوحى إليه ، فهل كان ﷺ يتبع الوحي كما هو بسنة السنية ؟!

أم كان يتبع الوحي كما هو بسنة الشيعة ؟!
وهل كانت سنته ﷺ مثل سنة الشافعي في القديم ، أم سنته في الجديد ؟!

أم سنة الحنابلة ؟!

أم سنة الأشاعرة ؟

أم سنة المتصوفة ؟!

أم سنة الأحناف ؟!

أم سنة المالكية ؟!

أم كان يتبع ما أوحى إليه من الكتاب ؛ فتكون سنته ﷺ هي تطبيق الكتاب فقط ؟!

فقد قال سبحانه للنبي ﷺ :

« وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » (١٣) ؛

ولذا قال ﷺ كما جاء في محكم الكتاب :

« إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ » (١٤) .

وعلمنا مما سبق أنه ﷺ قد أوحى إليه (بالنص) القرآن :

فيكون اتباع النبي F للقرآن هو السنة الحقيقية .

وتكون السنة الحقيقية هي تطبيق ما جاء بالقرآن بلا زيادة (سواء زيادة في التشريع أو الغيبيات) !

والآيات بهذا المعنى متكررة ، ومن ذلك :

١٣ - سورة (٣٣) الأحزاب : ٢ .

١٤ - سورة (٦) الأنعام : ٥٠ ، و (١٠) يونس : ١٥ ، و (٤٩) الحجرات : ٩ .

” نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ” (١٥) !

وهو نصّ على أن الوحي هو القرآن .

وكذلك فقد قال تبارك وتعالى :

” وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ” (١٦) !

ولو كان الوحي يشمل الروايات والأحاديث السننية أو الشيعية لكان المعنى هو :

أن الكفار كادوا أن يفتنوا الرسول ﷺ عن القرآن وعن ما جاء بالسنة الشيعية ، والسنة السننية ، ويفتنوه ﷺ عن السنة التقديرية ، والسنة القولية ، والسنة العملية ، ليفتري لهم الرسول قرآناً مختلفاً ، وسنة مختلفة عما سبق .

فيخترع لهم سنة قولية وسنة عملية وسنة تقديرية جديدة مغايرة للقديمة :

فيجمع ﷺ (مثلاً) الناس الذين أقرهم على ما سبق من تقارير ثم يفتري غيرها ويأمرهم أن يفعلوا السنة الجديدة المفتراة ، ثم يُقرهم عليها .

ثم يجمع من كانوا يكتبون عنه الروايات مثل أبي شاه ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما ويفتري لهم روايات أخرى ، ويأمرهم بوضعها مكان القديمة . . . وهكذا !!

وبالطبع فإن المعتزين بالدلالة الفاسدة للآية لم يفكروا بهذه الدقائق لأنهم ليسوا أهل حق وتدقيق .

وقال منزل الغيث :

” وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ” (١٧) !

وهو نصّ على أن الوحي هو القرآن ، وبه يقع الإنذار ، وهو كل الوحي :

١٥ - سورة (١٢) يوسف : ٣ .

١٦ - سورة (١٧) الإسراء : ٧٣ .

١٧ - سورة (٦) الشورى : ٧ .

” قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ” (١٨) !

ويأمر سبحانه النبي بالتمسك بالوحي الذى أوحاه إليه :

” فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ” (١٩) !

فهل أمره بأن يتمسك بما جاء فى روايات القوم بجانب تمسكه بالقرآن !؟

❦ الحقيقة الثانية : حصر مفهوم النطق فى الآية ❦

قلنا من قبل إن كلام الرب تعالى يتميز بالدقة ، ولكى نتعرف على الدقة فى هذا الموضوع وعلى ماهية المنطوق فلا بد لنا من حصر المقصود بالمنطوق أولاً ، ثم التعرف على المعنى من السياق ومن عموم الآيات الأخرى الواردة فى الموضوع .

فلو قلنا مثلاً إن النبي ﷺ قال لإحدى أزواجه :

” أحضرى لى طعاماً مما عندك ” ،

فهل يُقال إن هذا النطق من الوحي !؟ . . بالطبع لا !

إذن فالنطق ليس على إطلاقه !

ولنفترض أن النبي ﷺ قال لأحد ممن معه :

” إنى ذاهب إلى الخلاء لقضاء حاجتى ” ،

فهل يُقال إن هذا مما أوحى إليه ﷺ !؟ وبالطبع أيضاً لا . . وهكذا .

فينتبين أن النطق المقصود فى الآية ليس على إطلاقه ، وإنما هو نطق

مختص .

فإذا كنا قد علمنا قبلاً من عشرات المواضع بالقرآن أن الرسول ﷺ قد أوحى إليه القرآن فيكون النطق المتعلق بالوحي هنا هو الخاص بنطقه

١٨ - سورة (٦) الأنبياء : ٤٥ .

١٩ - سورة (٦) الزخرف : ٤٣ .

بالقرآن ، ويكون المعنى (البدهى) هو :

" وما ينطق بالقرآن عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى " !

ولو افترضنا (مثلاً) أن النبي ﷺ سئل عن حكم ما ، فستكون إجابته ﷺ طبقاً لما أنزل عليه (وهو الكتاب) ، وسواء كانت الإجابة بذص الآيات ، أو بمعناها ، أو بكليهما فهو بالطبع نطق بما أوحى إليه وليس بالهوى ، ولن تكون الإجابة (قطعاً) بشيء مختلف عما هو بالكتاب !

ولكى نتأكد من هذا فلننتقل إلى الحقيقة التالية :

❦ الحقيقة الثالثة : حصر مفهوم المنطوق فى الآية ❦

يلاحظ المتدبر لهذه الآيات قول الله تعالى :

" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . "

ووجود لفظة : " إِنْ هُوَ " تعنى أن موضوع الوحي هنا محدد ، ويشار إليه بأنه : " هُوَ " .

فالحقيقة إداً غير ما صورها به الروائيون ، والدقة فى الآية متناهية . والحقيقة التالية ستوضح المقصود بـ : " هُوَ " فى الآية ، وتساهم فى تأكيد وتثبيت المعنى الصحيح لكلام الله تعالى .

❦ الحقيقة الرابعة : ربط الآية بغيرها من الآيات ❦

يلاحظ المتدبر لهذه الآيات أنه قد سبقها (مباشرة) فى السورة السابقة (وهى الطور) قول الله تعالى :

" أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ" (٢٠) .

ثم أعقب سبحانه سورة الطور بسورة النجم وفي أولها :

" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " (٢١) .

فَعُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مُتَّصِلٌ ، وَأَنَّهُ يَدُورُ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرُدُّ عَلَى الْكُفَّارِ قَوْلَهُمْ : " إِنْ الذَّبِّي ﷺ قَدْ تَقُولُ هَذَا الْقُرْآنَ " ، فَقَالَ لَهُمْ سَبْحَانَهُ :

إِنَّ الذَّبِّي لَا يَنْطِقُ بِهَذَا الْقُرْآنِ عَنِ الْهَوَى ، وَإِنَّمَا هُوَ وَحْيٌ يُوحَى ، فَأَتَوْا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ تَتَقَوْلُونَهُ (مِثْلَ مَا زَعَمْتُمُوهُ لَهُ ﷺ) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ! وَلَعَلَّ هَذَا يَكْفِي فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الْمَقْصُودِ بِالْآيَةِ .



٢٠ - سورة (٥٢) الطور : ٣٣ - ٣٤ .

٢١ - سورة (٥٣) النجم : ٣ - ٤ .